تأملات في الآراء التربوية لابن خلدون

الأستاذة بكوش فاطمة الزهراء
قسم الفلسفة
جامعة بوزريعة

تمهيد:

كثرت الدراسات في الآونة الأخيرة حول الفيلسوف عبد الرحمن ابن خلدون،من عدة جوانب، لكن الذي يلفت النظر أن جلّ هذه الدراسات تهمل الجوانب التربوية في فكره، و قد يعود السبب في ذلك إلى أنه لم يتعرض للمشكلة التربوية بصفة منفردة، بل فعل معها كما فعل مع القضايا الفكرية و الثقافية الأخرى حيث ربطها بالحياة الاجتماعية والسياسية، وبالتالي صيّر منها مشكلا سياسيا تارة و مشكلا دينيا تارة أخرى و لم يبحث في التربية كعملية مستقلة، أي لم يدرس التربية دراسة فنية بل درسها دراسة اجتماعية، فجاءت آراؤه التربوية مبثوثة في ثنايا كتابه المشهور(المقدمة) على شكل فصول، من الصعب تمييزها عن بقية القضايا الأخرى.

ولذا حاولنا في هذه الدراسة تحديد آرائه التربوية وتقييمها من وجهة نظر الفكر التربوي الحديث الذي تبلور من خلال المذاهب الفلسفية المشهورة.

و انطلاقا ما سبق يمكننا طرح إشكالية دراستنا من خلال الأسئلة الموالية:

ـــ ما هي أهم الانتقادات التي وجهها ابن خلدون للأساليب التربوية السائدة في عصره؟

ـــ و ما هي الآراء التربوية التي أبدعها كبدائل لما لاحظه من نقائص؟

ـــ وإلى أي حد يعتبر فكره التربوي متقاطعا مع الفكر التربوي الحديث؟

1. نقد ابن خلدون للأساليب التربوية السائدة في عصره:

إن تحديد مميزات التربية الخلدونية يقتضي منا إدراك الواقع الذي عايشه، ومعرفة الأنماط التربوية التي كانت سائدة في المغرب والمشرق في عصره، و مدى تأثيرها في التصور الذي أتى به.

فنجد أن أهم أسلوب تربوي كان معروفا في عصره هو **الأسلوب التلقيني** الذي كان منتشرا بكثرة في التعليم، والذي كان يركز على الذاكرة كوعاء لحفظ المعلومات بشكل آلي، وهذا ما دفعه إلى نقده والثورة عليه، مبينا أثره السلبي في مجال التربية، مقدما البديل الذي يتمثل في أساليب : **بالمحاورة و المناظرة و المشاركة الفعالة.**[1]

و يبدي ابن خلدون نقدا علميا لأسلوب التلقين، فيقول: "... فتجد طلبة العلم منهم ــ بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية ــ سكونا لا ينطقون، ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة."[2] و هذه إشارة منه إلى وضعية الطالب في المغرب العربي حيث كان يلازم المجالس العلمية لمدة طويلة و هو صامت مما يؤدي إلى عدم فتق ملكة اللسان لديه.

ثم يقول: "... فَعسُر عليهم حصول الملكة و الحذق في العلوم،وْ أيسرُ طرق هذه الملكة فتق اللسان **بالمحاورة و المناظرة** في المسائل العلمية ..."[3]

إن تلك الطريقة في نظر ابن خلدون تكرس الحفظ الآلي والجمود العلمي، ولذا دعا إلى استبدالها بطريقة **المناقشة الفعالة.**

ثم إنه يلفت النظر إلى ظاهرة سلبية لها علاقة بالمجال التربوي كانت منتشرة بكثرة في عصره وتتمثل في **كثرة التأليف في المادة الواحدة**، والتي ــ حسب رأيه ــ تؤدي إلى كثرة الاصطلاحات و تعدد طرق العلم، فتصعّب بذلك مهمة المتربي في

الحصول على العلم، و في هذا الشأن يقول: " اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم، و الوقوف على غاياته **كثرة التآليف و اختلاف الاصطلاحات في التعليم، و تعدد طرقها**، ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك ..."[4]

وإذا كانت هذه الطريقة تعتبر مجرد اجترار، لا يسمن ولا يغني من جوع، لأنها تجعل المتعلم يضيع وسط التآليف الكثيرة، فإن كثرة الاختصارات المؤلّفة في العلوم،مضرة أيضا بالتعليم، لأن الاختصار يخل بالمعنى، ويقطع طريق الفهم على المتعلم، فيقول في هذا الشأن : " ذهب الكثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق، و الأنحاء في العلوم، يولعون بها و يدوّنون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها ... فصار ذلك مُخلاّ بالبلاغة و عسيرا على الفهم".[5]

هذا وقد بيّن ما في عملية اختصار المؤلفات من سلبيات، حيث إنها تؤدي إلى الخلط بين الغايات و البدايات، وتصعّب على المتعلم استخراج المسائل ، وتشوش عليه فهم معانيها.

و من العيوب التربوية التي لاحظها أيضا ، **كثرة القواعد في العلوم الآلية**، بحيث صار أهل العلم لا يميزون بين العلوم التي تعتبر وسائل، و العلوم التي تعتبر غايات، فكانوا يتوسعون في العربية من ناحية القواعد، فيصبح الاهتمام موجه إلى القواعد أكثر من اللازم، في حين أن القواعد ما هي إلا وسيلة للتحكم في اللغة، و ليست هي غاية في ذاتها، يقول في هذا الشأن: "... وهذا ما فعله المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق لا بل أصول الفقه، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالا وأكثروا من التفاريع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة بذاتها"[6].

هذا وقد انتبه إلى أهمية تعليم القرآن للأطفال مبينا أن: " تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون

الحديث"[7]. ثم بيّن أن تعليم القرآن في الصغر مفيد ونافع للطفل" وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده"[8].

ثم قارن بين الأساليب المتبعة في تعليم القرآن عند المغاربة وأهل الأندلس و المشارقة،موضحا ما تتضمنه كل طريقة من محاسن ومثالب[9].

كما أنه رفض طريقة الشّدة على المتعلمين، لأن ذلك مخل بالعملية التربوية و خاصة في مرحلة الطفولة. فالعنف يؤدي إلى سوء الملكة، و بالتالي يقضي على شخصية المتربي . يقول ابن خلدون ناقدا منهج التشديد في التعليم: " (...) وذلك أن إرهاف الحذ في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة . و من كان مرْباهُ بالعسف و القهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، و ضيّق عن النفس في انبساطها و ذهب بنشاطها و دعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث".[10]

لكن ابن خلدون لم يتوقف عند مجرد نقد الطرق التربوية السائدة في عصره، بل تجاوز ذلك باقتراح جملة من البدائل، والتي يتبين لنا من خلالها خصائص فكره التربوي .

2. البدائل التربوية :

يكمن تحديد البدائل التي اقترحها ابن خلدون في النقاط التالية

- **أولا:** يجب مراعاة مقدرة الطفل، و تهيئة الجو الملائم للعملية التربوية ،من خلال المؤلفات الجيدة التي لا تكون كثيرة فتخلط عليه الأمر و لا مختصرة فتعوق فهمه للمعنى المقصود منها.

- **ثانيا** : مراعاة مقدرة المتعلم من الناحية النفسية و الجسمية، لأن الطفل في هذه المرحلة لا يفهم ما يقرأ و لا يستوعب ما يحفظ، ولهذا ينصح ابن خلدون المربين بعدم تقديم المسائل الصعبة للمتعلم و هو في بداية حياته.
- **ثالثاً** : ينصح ابن خلدون بأن لا تطوَل الفترات بين الدروس لأن عملية التقطيع مدعاة إلى النسيان، و لهذا يؤكد على عملية الربط بين الدروس، و عدم التفريق بين المجالس و تقطيعها.
- **رابعاً** : يؤكد على الاهتمام باللغة لأنها المدخل الأساسي لجميع العلوم، و تتم بالكيفية التالية :

" ... يبدأ بتعلم الكتابة و القراءة، ثم تربط الألفاظ بالمعاني، ثم تنتهي بالتجريد، ثم الربط بين المعاني المختلفة "[11]

و قد لا حظ ابن خلدون تفشي اللغة العامية وبعدها عن لغة مضر الفصحى، وهذا أمر طبيعي ـــ في رأيه ـــ فرضه تطور المجتمعات العربية واختلاطها بالأجناس الأخرى من العجم فيقول: " فلأهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره، وتخالفهما أيضا لغة الأندلس وأمصاره"[12].

وقد ألف أهل كل لغة بلغتهم، فكتبوا من خلالها أشعارهم، وعبروا بها عن مقاصدهم المعاشية، لكن من لا علم له بهذا التطور اللغوي يظن أنهم خارجون عن الفطرة اللسانية، وهو مخطئ في ذلك. يقول ابن خلدون في هذا الشأن:" ...والكثير من المنتحلين للعلوم في هذا العهد يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها ويمج نظمهم إذا أنشد ويعتقد أن ذوقه نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها ... فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها...وإلا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة"[13]

ولعل ابن خلدون يدعو من خلال ما سبق إلى عدم الإنكار على اللغات المجتمعية الدارجة(العامية). لأنها وسيلة تساعد أصحابها على التعبير عن مشاعرهم و أفكارهم ،هذا دون إهمال اللغة الفصحى .

وأعتقد أن هذا الأمر يعسر المطالبة به في مجتمعنا المعاصر بسبب وجود لغات أجنبية تخللت لغاتنا الدارجة وقضت على ملامحها العربية، وبسبب ما تتعرض اللغة العربية من عداء، مما لم يكن موجودا في عصر ابن خلدون.

ـــ **خامساً** : ينصحنا بالابتعاد عن الحفظ الآلي، و استعمال طريقه المشاركة الفعالة التي تؤدي إلى الفهم.

ـــ **سادساً** : يدعونا إلى استعمال الأمثلة الحسية لتقريب المعنى للمتعلم، و خاصة إذا كان صغير السن.

ـــ **سابعاً** : يؤكد على الربط بين القدرات العقلية و الحسية، أي بين النظري و التطبيقي، و لهذا فالتعليم لا يعتبر مجرد نشاط نظري، لا علاقة له بالحاجات الاجتماعية، بل هو نتيجة الحاجة المعاشية.و في هذا الصدد يقول عمار بن الصغير تأكيداً على فكرة ابن خلدون : " كل تربية و كل تعليم يهدف إلى غاية عملية، هي مساعدة الفرد البشري على أن يحيا حياة طيبة "[14].

3.خصائص الفكر التربوي الخلدوني :

من خلال البدائل التربوية التي قدمها ابن خلدون ، نخلص إلى تحديد خصائص فكره التربوي وهي كالآتي:

1. **الربط بين المدرسة والمجتمع**: فالتربية عنده مرتبطة بالمجتمع، وقد أكد على أنه إذا كان المجتمع متقدماً كانت مدرسته متقدمة و العكس صحيح.

2. **حرية المتعلم في التعبير:** فابن خلدون يناهض الأساليب التلقينية التي لا تحترم شخصية المتربي، ويعلي من شأن المحاورة و المناظرة هي التي تولد ملكة التصرف و ملكة استنباط الفروع من الأصول

3. **تقديرشخصية المتعلم:** فهو يدعو إلى تقدير شخصية المتعلم ودفعه إلى ممارسة دور إيجابي في العملية التربوية، وتشجيعه على الحصول على المعرفة بنفسه.

4. **الواقعية التربوية:** وذلك أن ابن خلدون يؤسس التعليم على ممارسة الوقع الحسي و يحرص على التعليم العملي، دون أن يهمل التعليم النظري, لأن كل تعليم يتجاهل الوسط الاجتماعي و المستوى الحضاري سيؤدي حتما إلى الإفلاس.

5. **المرحلية والتدرج في العمل التربوي:** وهذا ما نلمسه من دعوة ابن خلدون إلى مراعاة التدرج واحترام مراحل نمو المتربي.

من كل ما سبق نخلص إلى الفكر التربوي الخلدوني يتميز بالواقعية والديناميكية مرتبط بالتغيرات المجتمع و بدوراته الحضارية.

و بعد هذا العرض لخصائص الفكر التربوي الخلدوني يمكننا أن نطرح السؤال الموالي :

إلى أي حد يمكن أن يتقاطع الفكر التربوي الخلدوني مع الفكر التربوي الحديث؟

وللإجابة عن هذا السؤال يجب علينا أن نقوم بمقارنة بين أسس التربية الحديثة كما صاغها بعض فلاسفة التربية الغربيون و بين الآراء التربوية الخلدونية.

4. الفكر التربوي الخلدوني في ميزان التربية الحديثة:

من خلال استعراضنا للفكر التربوي الخلدوني نجد أن هناك تقاربا كبيرا بين فكره والفكر التربوي الحديث سواء في النظرة إلى وظيفة التربية أو إلى المعلم أو المتعلم أو الطرق التعليمية ، حيث نجد أن أغلب الأفكار التي أبدعها فلاسفة التربية الحديثة لها ما يقابلها في الفكر التربوي الخلدوني.

فقد سبق ابنُ خلدون أصحابَ الاتجاه الاجتماعي في التأكيد علي العلاقة الوطيدة بين المجتمع وبين التربية والتعلم، إذ أنه يعتبر التربية ظاهرة اجتماعية قبل كل شيء، كما أنه نظر إلى العلم والتعليم على أنه

" أمر طبيعي في العمران البشري".[15] وهو في هذا لا يختلف عن الاتجاه الاجتماعي الذي يعتبر بدوره التربية " ظاهرة اجتماعية يمر بها كل إنسان".[16] وأنها " كل ما تقوم به من أجل أنفسنا، وكل ما يقوم به الآخرون من أجلنا، بغية التقرب من كمال طبيعتنا"[17] على حد تعبير **هربرت سبنسر**.

وإذا كان فلاسفة التربية الحديثة ينطلقون في هذا من هذا المبدأ معتبرين الإنسان كائن اجتماعي يعيش وسط بيئته تؤثر فيه ويؤثر فيها، فإن ابن خلدون ذهب قبلهم إلى نفس هذا الرأي حيث ذكر بكل وضوح:" أن الاجتماع الإنساني ضرورة ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان اجتماعي بالطبع" .[18]

ولا يختلف ابن خلدون مع **جون ديوي J.Dewey**(1859-1952) الذي ربط المدرسة بالمجتمع. فقد حدّد ديوي ـــ وقبله ابن خلدون ـــ وظيفة المدرسة بإعداد الفرد عن طريق الخبرة ليكون عضوا اجتماعيا عاملا على تطور بيئته، ويعتبر أن التربية لا تكون بالحفظ والتلقين إنما بالنشاط والعمل في صميم الحياة الاجتماعية، فالمدرسة هي أول مؤسسة اجتماعية لأنها تهيئ الطفل إلى المشاركة في ميراث الجنس وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية.[19]

فالفيلسوف جون ديوي يرى ضرورة الارتباط بين المجتمع والمدرسة فيقول:" لا يمكن أن يكون هناك صنفان من المبادئ الأخلاقية تختص إحداهما بالحياة في المدرسة، والأخرى بالحياة خارجها لأن السلوك الإنساني وحدة متكاملة لا تتجزأ "[20]

وقد تفطن ابن خلدون للعلاقة الوثيقة بين الحياة الاجتماعية والتعلم وحلل بدقة أكثر من ديوي ـــ ولكن بأسلوبه وطريقته الخاصة ـــ الترابط الذي لا ينفك، بين مستوى المجتمع ومستوى التعلم[21] ، فكلا الفيلسوفان يؤكدان على الربط بين المدرسة والمجتمع ،غير أنهما يختلفان في المنهج.

ولا ندعي أن ابن خلدون قد ذهب إلى الحد الذي إليه ذهب إليه جون ديوي في الحديث عن الدور الاجتماعي للتعليم، ولكنه أدرك بثاقب وعيه تلك العلاقة بين التعليم والمجتمع كما مرّ بنا، وحلل بدقة تلك المشكلات التربوية التي لاحظها في زمانه.

ولو قارنا بين آراء جون ديوي وابن خلدون لوجدنا أن آراء ابن خلدون تصلح لأوضاعنا اليوم أكثر من آراء جون ديوي، لأننا و بالرغم من أننا نعيش في عصر جون ديوي الزمني، فإننا في الحقيقة نعيش في عصر ابن خلدون الحضاري[22]

هذا ولا يختلف ابن خلدون كذلك عن نظرية التربية الحديثة في احترام المعلم لشخصية المتعلم. فإذا كانت التربية الحديثة تعطي للتعلم الدور الأكبر والأساسي في العملية التعليمية و تدعو إلى تقدير نموه وميوله واهتمامه، فإن ابن خلدون رفض التهميش الذي كان يعاني منه المتعلم في بيئته، كما رفض أسلوب الحفظ والتلقين وطريقة العنف و التشديد.

إن التعليم في العصر الحديث لم يعد يرتكز على نقل معارف جاهزة إلى المتعلم إنما أصبح يعتمد على تدريب الأطفال والمتعلمين على التفكير السليم, و هذا الأمر دعا إليه ابن خلدون من قبل عندما رفض الاعتقاد السائد بأن الحفظ الكثير

دلالة على التعلم الجيد وعلى حصول الملكة العلمية، فالصبي أو المتعلم في نظر ابن خلدون لابد أن يشارك في العملية التربوية ولا ينبغي أن يكتفي بالإنصات والاستماع.

كما أن دعوته إلى تعليم الأطفال بالرفق واللين هي إحدى نقاط التقائه مع التربية الحديثة، وخاصة مع الفيلسوف الانجليزي **جون لوك** (1962-1704) هذا الأخير الذي اعتبر أن الطريقة العادية التي تقوم على العقوبات والسياط طريقة تلائم المعلمين وهي الطريقة الوحيدة المستعملة التي يعتقد الجميع أنها سهلة التطبيق، لكنها أقل الطرق موافقة للتربية الصحيحة لأنها تنتج أضرارا جسيمة و يؤدي حتما لإخفاق العمل التربوي[23].

إن الخطأ الأساسي لهذه الأنواع من العقوبات ـــ حسب جون لوك ـــ هو أنها لا تمرّننا على التغلب على ميولنا الطبيعة السلبية ، بل على العكس من ذلك، إنّها تشجعنا على الانحراف، ثم تولد فينا استعدادا للقيام بكل الأعمال المشينة والشاذة.[24]

ولا ننسى نظرة ابن خلدون للمعلم، فهو يرفض كما رفضت التربية الحديثة بعده ذلك المعلم المتسلط المستبد الذي لا يسمح لأحد أن يحاوره أو يراجعه، ذلك المعلم الذي يهمش المتعلم، ولا يطالبه إلا بالحفظ ثم يقسو عليه ويقتل فيه روح الإبداع والبحث.

إن هذه السلوكيات التربوي الخاطئة هي التي ثارت عليها التربية الحديثة. وحاولت استبدالها بسلوكيات أكثر إنسانية وعقلانية من شأنها أن تشجع عملية التنمية الذاتية إلى أبعد نطاق ممكن بحيث تقود المتعلمين إلى أن يقوموا بالتنقيب والبحث من تلقاء أنفسهم.[25]

أما نظرة ابن خلدون إلى مناهج التربية ففيها تقارب كبير بينه وبين ما تراه التربية الحديثة ، فكلاهما يرفض المناهج التقليدية القائمة على الحفظ ويدعو إلى مناهج

حوارية قائمة على الحوار والنقاش بين المعلم وتلاميذه إلى درجة أن ابن خلدون يعتبر هذا المنهاج الحواري أيسر الطرق لحصول الملكة العلمية لدى المتعلم.

بالإضافة إلى هذا فإن قانون التدرج عند ابن خلدون يعتبر من المبادئ التي يلتقي فيها مع فلاسفة التربية الحديثة، ومن بينهم **هربرت سبنسر** الذي يرى في هذا الصدد أنه : " من الضروري أولا أن نعرض أمام الطفل موضوعات بسيطة للدراسة و أشياء مفردة، قبل التعميمات المجردة، و المفاهيم العقلية ".[26]

وهكذا فإن جوهر هذا القانون هو الانتقال من الجزء إلى الكل و من السهل إلى الصعب حتى يتسنى للمتعلم فهم ما يُلقى عليه، و هو ما ألح عليه ابن خلدون .

كما أكد ابن خلدون على ضرورة تركيز التربية على الغايات العلمية النفعية ودعا إلى أن تكون المدرسة وسيلة من وسائل كسب الرزق و حفظ كرامة الإنسان،وبهذا نعتقد أنه سبق ديوي في هذه الفكرة البرغماتية.و هو في هذا يعالج بطريقة غير مباشرة ما نلاحظه اليوم في انفصال بين ما يدرس في المدارس و الجامعات و بين متطلبات المجتمع فغالبا ما لا ينتفع طالب العلم اليوم بالشهادة العلمية التي يتحصل عليها لأنها غير ملائمة لمتطلبات و حاجيات المجتمع.

5.أهمية الفكر التربوي الخلدوني:

وبعد هذا المقارنة بين الفكر التربوي الخلدوني و نظيره الحديث لنا أن نتساءل: ما قيمة الفكر التربوي الخلدوني؟

ويمكننا القول بأنه على الرغم من القيمة التربوية الكبيرة التي تكتسيها آراء ابن خلدون التربوية، إلا أن تلك الآراء لم تجد بين المسلمين المحدثين و المعاصرين الترحاب و الاهتمام اللائقين بها، وهذا ما يعبر بحق عن الأوضاع التربوية المزرية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي و العربي اليوم، فالعالم الإسلامي ـــ في اعتقادي ـــ

غفـــل عن آراء ابن خلدون التربوية و غيره من الفلاسفة و المفكـــرين المسلمين و لم ينتبه إلى أن الدواء الذي يبحث عنه لأمراضه التربوية موجود بين يديه ولا يمكن استجلابه من بيئات غربية مخالفة لنا في العقيدة والتاريخ والثقافة.

وإذا كنا ندعو إلى ضرورة الاهتمام بتراثنا التربوي، خاصة الخلدوني منه، فإننا لا تعني بذلك اجتراره وتطبيقه بحذافيره في مجتمعنا المعاصر، بل نعني مجرد استثماره، والاستفادة منه بحسب مقتضيات عصرنا، وهذا ما قصده المفكر الإسلامي **محمد عابد الجابري رحمه الله** عندما عاب على بعض المثقفين سوء فهمهم للتراث الخلدوني فقال: " إن هؤلاء الذين يقرؤون فكر ابن خلدون يعتقدون أنهم مخلصين و يبرهنون على عصرانية الفـــكر الخلـــدوني في حين أنهم في نظرنا يفعلون العكس تماما؛ إنهم ينقلون علوم عصرنا إلى ابن خلدون"[27] بمعنى أنهم يقيّـــدون العلوم الـــحديثة بقيود علوم عصر ابن خلدون، و هذا في ـــ نظر الجابري ـــ أمر خاطئ لأن ابن خلدون بنى ملاحظـــاته العلمية و التربوية ضمن أطر التفكيـــــر التي كانت ســـائـــدة في عصره و هي تختلف عن أطر تفكيرنا المعاصر.

هذا ويمكننا القول أن تجـــاهل كثير من مثقفينا لآراء ابن خلدون راجع إلى عـــدة أسبـــاب منها ما يتعلق بفكر ابن خلدون ذاته و منها ما يتعلق بالعالم الإسلامي.

أما الأسباب المتعلقة بابن خلدون فترجع إلى أنه " وزّع آراءه في مشكلة التـــربية على ما لا يقل عن عشـــــرة فصول من كتابه المقـــدمة، و لكنه لم يركز عليها في أي واحد من هذه الآراء ، مما صعّب على البـــاحث أن يهتدي بسهولة إلى أشتاتها ".[28]

ويمكن رد ذلك أيضا إلى أنه ربط المشكلة التربية بالحياة الاجتماعية " وصيّر منها مشكلا سياسيا حينا ، و حضاريا حينا آخر، و دينيا في بعض الأحيان ، أي أنه لم يبحث مشكل التربية من الـــداخل فقط ...و هذا ما يتضـــايق به أهـــل

الاختصاص في عصرنا".[29] و معنى هذا أن الباحثين لم يعثروا على نظرية منظمة عند ابن خلدون، بل وجدوا آراء متناثرة و موزعة بين كامل فصول مقدمته الضخمة.

أما الأسباب المعلقة بالمثقفين المسلمين فيأتي على رأسها فقدانهم للثقة في بحضارتهم، حيث طغى عليهم الانبهار بالحضارة الغربية و بكل منتجاتها إلى درجة اعتبارها المفتاح الوحيد و الحل لكل المشكلات التي تصادفهم .

حقا لقد عاش ابن خلدون في القرن الثامن الهجري (أي الرابع عشر الميلادي) وسط بيئة إسلامية خاصة، وقد كتب كتبه المقدمة في ضوء ما لاحظه في المجتمع العربي آنذاك، فكانت هذه المقدمة صورة معبرة بصدق عن واقع اجتماعي في كل المجالات السياسية و الاقتصادية و التربوية، و لم يكتف رحمه الله بوصف الأوضاع والتأريخ لها بل انتقدها و اجتهد في إعطاء البدائل اللازمة لتجاوزها.

ولكن على الرغم من هذا نرى أنه ما زال بوسع الفكر الخلدوني أن يمدّنا نحن اليوم أبناء القرن الواحد و العشرين بالكثير من الحلول و بالأخص في المجال التربوي. لأننا وإن ابتعدنا عنه زمانا فإننا قريبون منه ثقافة، بل إننا ما زلنا نعيش في نفس الأوضاع المتردية الذي عاشها و نتخبط في نفس المشاكل الاجتماعية و الأمراض التربوية التي كانت موجودة في زمنه. فما زالت المدرسة في المجتمعات العربية تعاني العزلة عن المجتمع، فإما أن تعزل هي نفسها ببرامجها و أهدافها التي لا تتماشى مع طموحات المجتمع العربي، و إما أن المجتمع نفسه هو الذي يعزلها بتجاهلها وانغماسه في مشاكله السياسية و الاقتصادية .

إن ابن خلدون اجتهد في شرح أفكاره التربوية، وقدم تصورات عامة استقاها من واقعه ، ووُفّق إلى تقديم حلول وبدائل لها، مما يجعله مفخرة هذه الأمة. و نحن اليوم إن أردنا أن نعالج مشكلاتنا التربوية فعلينا أن نأخذ أفكاره بكثير

من الاهتمام، فنفهمها، ونستوعبها، ثم نستثمرها استثمار إيجابيا، وذلك هو التحدي الحضاري الذي ينتظرنا .

قائمة المصادر و المراجع:

ـــ ابن خلدون عبد الرحمن :المقدمة، مكتبة المدرسة، بيروت، ط3 ، 1967 م

جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربيـــة، ترجمة،عبـــد الفتـــاح الـــسيد هـــلال، ص19،الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط 1966 .

سعد مرسي و إسماعيل علي: تاريخ التربية و التعليم – عالم الكتب – القـــاهرة، 1972.

الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند ابن خلدون.دار الفكر ، بيروت، بدون تاريخ.

فاخر عاقل:التربية قديمها وحديثها ،دارالعلم للملايين، بيروت ط3 1973.

عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط3 ،1973،.

عبد الله شريط:الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ،الشركة الوطنية للنـــشر والتوزيـــع ،الجزائر،ط2 1981.

محمد عابد الجابري: نحن و التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الجزائـــر، ط6، 1993،.

أنطوان الخوري:التربية من أفواه رجالها ،دار الكتاب ،الدار البيظاء،ب،ط 1964

الهوامش :

---

[1]- ابن خلدون – المقدمة ص275،274.

[2]- المصدر نفسه ص.(773)

[3] – المصدر نفسه .

[4]- المصدر نفسه ص 1021.

[5]- المصدر نفسه ص ص 1028، 1029

[6]- المصدر نفسه ص 1037.

[7]- المصدر نفسه ص 1038.

[8]- المصدر نفسه.

[9]- المصدر نفسه ص 1039

[10]- المصدر نفسه ص 1042.

[11]- سعد مرسي و إسماعيل علي، تاريخ التربية و التعليم – عالم الكتب – القاهرة، 1972، ص 198.

[12]- ابن خلدون، المقدمة ص1124.

[13]- المصدر نفسه ص 1126.

[14]- الصغير بن عمار، الفكر العلمي عند ابن خلدون، ص 115.

[1] - ابن خلدون، المقدمة ص769 .

[16]- فاخر عاقل:التربية قديمها وحديثها ،دارالعلم للملايين، بيروت ط3 1973.

[17] – عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط3 ،1973،ص481.

[18] – ابن خلدون، المقدمة، ص 540.

[19] – أنطوان الخوري:التربية من أفواه رجالها ،دار الكتاب ،الدار البيظاء،ب،ط 1964 ص210 .

[20] – جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة،عبد الفتاح السيد هلال، ص19،الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط 1966 ص210 .

[21]–عبد الله شريط:الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ط2 1981 ص650.

[22] – المرجع نفسه ،ص 648 .

[23]– أنطوان الخوري،المرجع السابق ص91 .

[24]– المرجع نفسه .

[25]– عبد الله عبد الدايم ،التربية عبر التاريخ ص489.

[26] المرجع السابق، ص488.

[27] – محمد عابد الجابري، نحن و التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الجزائر، ط6، 1993، ص 318.

[28] – عبد الله شريط، مرجع سابق ذكره، ص 646.

[29] – المرجع نفسه، ص 645-646.